الفكر الإسلامي
ودوره التجديدي والإصلاحي
في النهضة المعرفية العراق أنموذجا

إعداد
الدكتور محمد سعيد عبد الدليمي

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد:

منذ نشوء الأمة الإسلامية، وقيام دولتها عاشت قروناً طويلة، وهي لا ترى أمة ولا دولة تدانيها في حضارتها ونهضتها وقوتها وعزتها، فانهارت تحت أقدامهم إمبراطورية فارس والروم بعد عُمر دام قروناً من التاريخ القديم؛ تاركة الساحة أمام الحضارة الإسلامية كي ترفع شأن أمم تاقت إلى الرحمة منذ مئات السنين، وقد استمرت دولة الإسلام في التوسع، فاخترقت جميع الحضارات في الشرق والغرب؛ حتى وصلت إلى عصر ازدهرت فيه الثقافة الإسلامية والمذاهب الفقهية والمدارس الفكرية، وقيام عظيم العمران وروائع المدنية وعجائب العلوم والاكتشافات ليصبح المجتمع الإسلامي منارة الأرض وجنة الدنيا الساحرة في نظر سائر الشعوب، ولكن خلال فترات الضعف التي أصابت العالم الإسلامي، والتي كان من سببها: غياب القيادة الحكيمة، فضلاً عن التفرق الذي تحول إلى تشرذم، وبعد ذلك تحول إلى تصادم، فهذه كانت نقطة ضعف كفيلة لإسقاط الخلافة العباسية حاضرة الدولة الإسلامية، ثم عم التخريب الشامل والفوضى السياسية التي أحدثها المغول، قد أدت إلى فراغ ديني وسياسي وأزمة روحيّة تطلّب ظهور مُصلحين يعيدون الى الفكر الإسلامي أصالته، ويتصدّون للبدع والانحرافات التي أصابت العقيدة الإسلامية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الحديث عن الفكر الإسلامي واصالته ودوره الريادي في عملية الإصلاح والتجديد، لأن الفكر الإسلامي فكر شمولي يقوم على أساس من العقيدة الرّبانيّة، وهو من أعظم حاجات الإنسان المسلم في كافة مراحل نموه.

منهج البحث:

فيما يخصّ منهج البحث فإنّ طبيعة البحث تقتضي الاستقراء والبحث، فكان من الواجب علي الالتزام بقواعد البحث العلمي في النقل والاقتباس والتوثيق، فقد أخذتُ من المصادر والمراجع الموجودة في المكتبة الشاملة، ومن المكتبات العامة، ثمّ بعد ذلك عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، وبعدها خرجت الاحاديث، ثمّ ارتأيتُ أن أكتب بطاقة الكتاب كاملة في المصادر والمراجع فقط، واكتفيت بكتابة أسم الكتاب، واسم المؤلف أو الكنية التي اشتهر بها، والجزء والصفحة، وقد اختصرت بعض المصطلحات بما يشير إليها بما يأتي:

(الدكتور: د)، (المتوفى: ت)، (تحقيق: تح)، (رقم الصفحة: ص)، (الطبعة: ط)، (الناشر: ن)، حيث يذكر اسم المحقق حال وجوده، ثمّ رتّبتُ المصادر والمراجع على حسب حروف الهجائيّة.

وأما عن خطة البحث، فقد اشتملت على مقدمة ومبحثين، ثم تليها خاتمة:

المبحث الأول: فكان عنوانه مفهوم الفكر الإسلامي والتجديد الإصلاحي، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب.

وأما المبحث الثاني: فقد جعلته بعنوان: الصحوة الإسلامية ودورها في النهضة المعرفية، وقد اشتمل على أربعة مطالب.

ثمّ جاءت الخاتمة، ثمّ المصادر والمراجع وقد رتبتها على حسب الحروف الهجائية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

المبحث الأول: مفهوم الفكر الإسلامي والتجديد الإصلاحي.

المطلب الأول: تعريف الفكر الإسلامي .

اولاً: تعريف الفكر الإسلامي: يُعدّ مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة التي تناولها العلماء بالبحث، ودارت حول هذا المصطلح عدّة تعريفات منها:

الفكر لغة: الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ، والفِكْرة: كالفِكْر وَرَجُلٌ فِكِّير، مِثَالُ فِسِّيق، وفَيْكَر: كَثِيرُ الفِكْر، والتَّفَكُّرُ: اسْم للتَّفكير، وَيَقُولُونَ: فكّرَ فِي أمره، وتفكَّرَ، والفِكْرةُ والفِكْر واحد [١].

واصطلاحاً: (هو كلّ ما أنتجه فكر المسلمين منذ بدء الدّعوة الإسلامية إلى اليوم، وفي جميع حقول المعارف العامّة المتعلّقة بالخالق تعالى والكون والإنسان، والذي يعكس اجتهادات العقل البشري لتفسير تلك المعارف وتحليلها ضمن إطار المبادئ الإسلامية: عقيدة وشريعة وسلوكاً)[٢]، وقيل: (هو المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول ﷺ إلى جوار ربّه، لفهم الإسلام، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه)[٣].

---

(١) ينظر: كتاب العين: للفراهيدي، باب الكاف والراء، ٣٥٨/٥، وتهذيب اللغة: أبو منصور الهروي، أبواب الكاف والراء، ١١٦/١٠.

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي في تطوره: الشيخ محمد البهي، ص ٦، وتجديد الفكر الاسلامي: د. محسن عبد الحميد، ص ٤١.

(٣) ليس من الإسلام: الشيخ محمد الغزالي، ص ١٣٦.

ويمكن تعريفه أيضاً: (هو حصيلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمسّ عالمنا الواقعي الموسوم بعالم الشهادة، ويدفع الى التأمّل والملاحظات والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة والعبادة والقيم الأخلاقية في الإسلام)[١].

ومهمة الفكر الإسلامي تبرز في شرح النّصوص القرآنية التي تمتاز بالإجمالية والتعميم، وهو يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ليؤكّد مرونة الفكر الإسلامي وقابليته الدائمة للتطور والتجديد، فهو فكر مستمر لا يقف عند حقبة معينة من الزمن، ولا عند مفكرين معينين في جيل من الأجيال[٢].

وعلى هذا فإنّ الفكر الإسلامي قابل لأن يخضع بين فترة وأخرى لعمليات إصلاح وتجديد، وذلك لتصفية وإزالة ما علق به من شوائب وبدع وانحرافات خطيرة، بعكس أصول الإسلام وعقائده، فهي ثابتة لا تتغير، ولا يمكن أن تتعرض إلى النقد والتأويل لقطعية الأدلّة عليها في القرآن الكريم والسنّة المطهرة كالإيمان بالله تعالى وبوحدانية، والإيمان بالأنبياء، واليوم الآخر، فالقول بتجديد هذه العقائد أمر مرفوض مطلقاً[٣].

والذي يبدو لي أن أصالة الفكر الإسلامي كفكر، فهو يستمد أصوله من نصوص معتمدة لا تقبل النسخ والإهمال، لأنها نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة.

---

(١) الفكر الإسلامي: د. محمد الصادق عفيفي، ص ١٢.

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، ص ٢٤.

(٣) ينظر: تجديد الفكر الاسلامي: محسن عبد الحميد، ص٩٧.

المطلب الثاني: مفهوم التجديد .

اولاً التجديد لغة: يُقَالُ جَدَدْتُ الشيء وَهُوَ مَجْدُودٌ وَجَدِيدٌ، و(الْجِدُّ) بِالْكَسْرِ ضِدُّ الْهَزْلِ تَقُولُ مِنْهُ: (جَدَّ) فِي الْأَمْرِ يَجِدُّ وَيَجُدُّ، وَ(الْجِدُّ) أَيْضًا الِاجْتِهَادُ فِي الْأَمْرِ، وقيل التجديد: أي يصير الشيء جديداً، وجدَّ الشيءُ أي صار جديداً، وهو خلاف القديم(١).

ثانياً: اصطلاحا: هو (تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان)(٢).

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي: (إن التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما هو منه، وترميم ما بلي، ورتق ما نفتق، حتى يعود لأقرب ما يكون إلى صورته الأولى)(٣).

وقيل: (إنَّ التجديد هو الاستجابة من جانب الفكر لمتطلبات الواقع وتحدياته، وقد تتطلب هذه الاستجابة المزيد من الضبط والتطبيق والالتزام)(٤)، وهو بذلك يعني المعايشة للعصر، والمواكبة للتطور، والتحرّر من آثار الجمود والتقليد.

ولا يمكن أن يفهم من التجديد (هو الخروج عن دائرة الأحكام الشرعية، لأنَّ ذلك التجديد يحمل معنى هدم للقيم الاصيلة لهذه الأمة، وهو أداة للفوضى والاضطراب، وكل تجديد يتجاوز النصوص الثابتة أو يتنكر لها، فهو محكوم عليه بالفشل، وأما التجديد الذي يقصد منه، فهو اعتماد المنهج الأصولي الصحيح في تفسير النصوص وتأويلها،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: أبو منصور الهروي، باب الجيم والدال، ٢٤٥/١٠-٢٤٦، ولسان العرب: لابن منظور، فصل الجيم، ١٠٧/٣.

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه، أبو الأعلى المودودي، ص ٢٥.

(٣) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا: د. يوسف القرضاوي، ص ٢٨.

(٤) الإسلام والعصر؛ ملامح فكرية وتاريخية: طارق البشري، ص ١٩.

فهو منهج يشجع الرأي وينكر التقليد والجمود، والأمة التي ترفض التجديد ولا تمارس حقها فيه تلغي ذاتها، وتضعف من إمكاناتها الفكرية، وترضى لنفسها أن تكون عالة على الأجيال السابقة ولاحقة)[١].

ومن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان وبعد الناس عن آثار الرسالة حدثت البدع، والخرافات وفشا الجهل واشتدت غربة الدين، وظن الناس أن ما وجدوا عليه آباءهم هو الدين وإن كان بعيداً عنه، ولكن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

وعلى هذا فمن مجموع هذه التعريفات يمكن صياغة تعريف جامع له، وهو تجديد الدين أي يعني، إحياء وبعث ما انطمس منه، وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.

وأما المجدد فهو المراد منه هو: (كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه)[٢]، أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم وينصر أهله، ويكسر أهل البدع ويذلهم، لأنَّ المجددين هم رواد يبصرون ما لا يُبصره غيرهم، ويعلمون من التنزيل ومن الأسباب الجديدة ما يؤهلهم للتقدم لتحمل مسؤولية جديدة، إذ إنَّ من خصائصه هو (أن ينجح في التعامل مع قضايا عصره بعقلية ناقدة ومقومة، ومحييّة في الناس مفاهيم الدين الكبرى: كمفهوم التوحيد، ومفهوم الشريعة، ومفهوم المسؤولية، ومفهوم العدل)[٣].

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي: مجموعة مؤلفين، ص ٥٨.

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين وأحباؤه: أبو الأعلى المودودي، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٩.

ثم إنَّ التجديد ليس متعة ذهنية يؤثر بها المُفَكر والمُجدِد نفسه من دون الناس، وإنّما هو عمل عام راقٍ له آثاره الإيجابية ومنافعه في الأمة كلها ومن هذه الآثار والمنافع:

١- بناء النهضة على أُسس متينة، فالفكر الجديد هو، خريطة الفعل والحركة في بناء النهضة، وهو فاتح الآفاق الفسيحة أمام الإرادة العلمية، والاجتماعية والثقافية.

٢- معالجة المشكلات بحلول عميقة وجادة وذات رؤية بعيدة، لأنَّ من مميزاته أنه صائغ للحلول.

٣- حسم الفوضى للفكرية السائدة، بفكر قوي منظم، فما وقعت من الأمور في الفوضى الفكرية إلا غيبة الفكر البديل القوي المنظم.

٤- التحاور مع العالم بثقة، والانتفاع لما لدى الحضارات الأخرى من نفائس: علمية، وفكرية، وثقافية، واجتماعية، فإن قوة الفكر تورث الثقة بالنفس(١).

ويلاحظ مما قد سبق، أنَّ التجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء، وإنما هو الإضافة المتميزة التي تُطبع الفكر بطابع عصره، لكي يكون ذلك وليداً شرعياً للمجتمع، لأنَّ التجديد: هو تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه، وذلك بالعودة إلى ما كان في عهد الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان، أو هو محاولة إيجاد الحلول العملية لما يطرحه الواقع من قضايا لم تكن

(١) تجديد الفكر الإسلامي: مجموعة مؤلفين، ص ٤٦، وشريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان: د. يوسف القرضاوي: ص ٧٧- ٨٠.

معروفة في الماضي، وهذه الحلول يجب أن تكون مستندة على قواعد إسلامية، وفي الوقت نفسه لها قابلية التطور والتقدم(١).

المطلب الثالث: مفهوم الإصلاح وجذوره.

اولاً: مفهوم الإصلاح: لغة: ضد الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، أي أقامه، ورجُلٌ صَالح، والمصلح فِي أَعماله وأُموره، ومنه إصلاح ذات البيْن، وَتقول: أصلحتُ إِلَى الدَّابَّة إِذا أحسنتَ إِلَيْهَا (٢).

واصطلاحا: هو: التغير إلى الاستقامة في الحال على ما تدعو إليه الحكمة، وضده الإفساد، أو هو تحوّل المجتمع من مجتمع فاسد منحلّ إلى مجتمع صالح، إذ تقوم أنظمته الرئيسة والفرعية على أحكام الشريعة الإسلامية(٣).

ويمكن القول بأنَّ الإصلاح لا يكون إلا بطاعة الله تعالى واتباع شرعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو سبيل الإصلاح والنجاة، لأنَّه طريق الأنبياء، قال تعالى: حكاية عن نبيّ الله شعيب عليه الصلاة والسلام حين خاطب قومه:﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (٤).

فإنَّ الصلاح والإصلاح والعزة والكرامة واللحاق بركب التقدم، وكل ذلك يتحقق بالتوجه إلى لله تعالى بعيدًا عن المتاجرة بالشعارات؛ هذا إذا أردنا إقامة حضارة على منهاج النبوة، لأنَّ من أعظم الإفساد هو الصد عن سبيل الله تعالى، وتعطيل شريعته، قال

---

(١) ينظر: وجهة نظر حول إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر: محمد عابد الجابري، ص٤٢، ومن أجل صحوة راشدة تجديد الدين وتنهض الدنيا: د. يوسف القرضاوي، ص ٢٨.

(٢) العين: للفراهيدي، ١١٧/٣، وتهذيب اللغة: أبو منصور الهروي، ١٤٢/٤.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: أبو فرج بن الجوزي، ص ٣٩٦.

(٤) سورة هود الآية: (٨٨).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[١]، وهو العودة إلى الأصل، فإنّ خطاب الإصلاح والنهضة يقوم على مبدأ الرجوع إلى الماضي، وهو عصر الرسول ﷺ والصحابة الكرام ﷺ لأنّه لا يمكن لأيّ إصلاح عقائدي أن يتمّ إلّا بالرجوع إلى الأصل[٢].

وأما الشيخ محمد البهي فقال: (هو محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين، ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره)[٣].

ثانياً: جذور الإصلاح الفكري: لقد تعرض العالم الإسلامي إلى غزو عسكري وفكري وثقافي، فكان الغزو الفكري والثقافي أشدّ خطراً، لأنه يهدف إلى اقتلاع العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام، وذلك عن طريق نشر الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة، فكان بعض المسلمين فريسة لتلك الأفكار والعقائد الباطلة بضغط عوامل عديدة منها: اختلاطهم بغير المسلمين، وتأثير العجم، فأصبح الدينُ الخالص والتوحيدُ النقيُّ وراءَ حجابٍ وحجابٍ، وفي ضوء ذلك فقد برزت مجموعة من الفرق التي تنسب نفسها للإسلام، والتي شكّلت خطورة كبيرة على العقيدة الإسلامية، فضلاً عن ذلك تعرّض الفكر الإسلامي إلى غزو من قبل بعض العقائد والمعتقدات، والفلسفات القديمة غير الإسلامية، فقد وجد هذا التحدّي استجابة من بعض علماء

---

(١) سورة النحل الآية: (٨٨).

(٢) ينظر: شريعة الله لا شريعة البشر: شحاته محمد صقر، ص ١٤-٢١.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: د. محمد البهي، ص ٣٢٩.

المسلمين، وهم الذين تصدّوا للأفكار المنحرفة التي انتشرت آنذاك، منهم: الإمام الحسن البصري، وأبو حامد الغزالي، فضلاً عن الإمام أحمد بن حنبل.

وعلى هذا فإن الفكر الإسلامي يمتلك إمكانات التجديد المستمر، لأن النصوص الشرعية التي تعتبر مصادره الاساسية، فقد وضعت له قواعد وضوابط لكي تكون رحلته في البحث والاستنتاج والاستنباط محكومة بمؤشرات الوقاية من الخطأ والظلال، وهذا من رحمة الله تعالى وفضله على هذه الأمة، وهو أن يظهر المجددين عند اشتداد الحاجة إليهم، وذاك لردها إلى جادة الصواب.

المبحث الثاني: الصحوة الإسلامية ودورها في النهضة المعرفية.

المطلب الأول: مفهوم الصحوة الإسلامية.

اولاً: تعريف الصحوة الإسلامية، لغة: من الصَّحْوُ وهو: ذَهاب الغَيْم، تقول: السّماء صحوٌ، واليوم يومٌ صحوٌ، وأَصْحَتِ السّماء فهي مُصْحيةٌ ويومٌ مُصْحٍ. وصحا الرَّجُلُ، ويقال: مِنْهُ صَحَا قَلْبُه، وصَحَا مِنْ سُكْرِه[١].

واصطلاحاً: (حالةٌ تجدُ الأمّةُ فيها نفسَها وقد وعت ذاتها، وعرفت من حولها، وأدركت أبعاد عصرها، فاستشعرت قدرتها على الاستجابة للتحديات التي تواجهها، وعلى التحرّر من التبعية للآخرين)[٢]، ولكون هذه الصّحوة تهدف إلى التمسّك بمبادئ الإسلام، والعودة إلى أصوله النقيّة، كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بعد تخليصها من الصّدأ الذي علق بها، فقد أُطلق عليها أيضاً مصطلح الأصولية[٣] الإسلامية[١].

---

(١)) ينظر: تهذيب اللغة: أبو منصور الهروي، ٥/ ١٠٤- ١٠٥.

(٢)) الصحوة الإسلامية ومشاريع الهيمنة الأجنبية: أحمد صدقي الدجاني، ص ١٣٠.

(٣)) أصولي تعني: شيئاً إيجابياً، وهي مأخوذة من الفعل أصل، الذي يعني الأساس المتين والقوي الذي يعتمد عليه، فهي حركة تدعو إلى العودة إلى أصول الدين، أي: القرآن والسنة، وعدم الاعتراف =

ثانياً: مفهوم الصحوة: إنَّ الصحوة الإسلامية هبت رياحها لتحرك في المسلمين المشاعر والوجدان، دون أن تدفعهم إلى خطة عمل أو برنامج سلوك، ويقول الشيخ البوطي رحمه الله: (إنَّ الصحوة الإسلامية جاءت نتيجة التجربة الفاشلة التي استمرت ردحاً من الزمن، والخطر الإسلامي الذي يتوجس الغرب خيفة منه، فإنَّ هذا الخوف نتيجة لظهور الصحوة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، والصحوة الإسلامية ثمرة لقاعدة: "التجربة الفاشلة تحمل في داخلها بذور نقائضها")[٢].

ثم يقول رحمه الله: (ولقد كنت ولا أزال ممن أيقن بوجود هذه الصحوة، وممن دافع عن الإيمان بها، ولكن ضمن حجمها الذي تدل عليه كلمة (الصحوة) فهي تعني أو تمثل يقظة من طال سباته، فراح يتمطى ويتقلب في فراشه، فهو بين أن يتكامل صحوه ويهب من سريره ثم ينظر في تدبير أموره وإصلاح شؤونه، وبين أن يعود فيغمض عينيه ويستسلم مرة أخرى لرقاد ثقيل، ويبقى كل شيء من حوله على ما هو عليه، ونظراً إلى حجم (الصحوة الإسلامية) التي كان الباحثون يتكلمون عنها ويبشرون بها، وربما بنوا عليها آمالاً عريضة، فقد كنت أحذر من آفاتها أكثر مما أغتبط بها، ولقد ألقيت في أحد المؤتمرات عام (١٩٨٤م) محاضرة عنوانها- الصحوة الإسلامية وأهم الآفات المحدقة بها)[٣].

=

بالتطور التاريخي للفكر الإسلامي. ينظر: تهذيب اللغة: أبو منصور الهروي، ٩٣/١٣، والأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير: حسين سعد، ص ٣٨.

(١)) ينظر: الإسلام وحقائق الأصولية: حميد السعدون، ص ٨٨.

(٢)) أوربة من التقنية إلى الروحانية: للبوطي، ص ٥٥.

(٣)) الإسلام والغرب: للبوطي، ص ٤٣- ٤٤.

المطلب الثاني: تراجع الصحوة الإسلامية.

فبعد ظهور الصحوة الإسلامية في معظم البلدان العربية والإسلامية، واستقرارها في أذهان جل المراقبين والباحثين، ومنذ ذلك الحين أصبحت لهذه الكلمة- الصحوة الإسلامية- عنواناً كبيراً، ولكن سرعان ما تراجعت، وكان تراجعها لأسباب:

اولاً: تعطيل الفكر والعقل: فقد تحدث الشيخ البوطي رحمه الله عن ذلك قائلاً: (لقد كان النصيب الأوفر من تلك الصحوة هو للعواطف والوجدان لا للعقل أو التدبير المخطط، لأن واقع المسلمين اليوم في أرقى ما يمكن أن يسمو إليه، وهو واقع اغتباط بالإسلام وافتخار بمزاياه وآثاره لنهوض بالدعوة إلى تطبيقها، فإذا جاء وقت التخطيط لتنفيذ ذلك، ولتحصين وجوده ضد المتربصين به، ولتحصين المسلمين ضد ما قد يراد بهم، لم تجد على مائدة هذا التخطيط أياً من أولئك المتغبطين[١] أو الدعاة) [٢].

ثانياً: الآفات المحيط بها: كان من أسباب تراجع الصحوة الإسلامية هو عقد الأمل عليها: (لقد كانوا يأملون أن تقود هذه الصحوة رجالها إلى مد رواق من التضامن الإسلامي فيما بينهم، وفي كل مجتمع أو قطر على حدة، ثم كان المأمول أن تفعل هذه الصحوة فعلها في قادة تلك المجتمعات والأقطار، فيشتبك فيما بينهم نسيج من التضامن والتعاون الحقيقيين، إن لم نقل: نسيج من الوحدة الحقيقية، وإذا البلاد العربية التي هي لباب الأمة الإسلامية دولة عربية وإسلامية واحدة، وكم تحدث كاتبون عن أحلامهم

---

(١)) الغَبْطُ: الجس باليد للحيوان ليعرف سمنه من هزالهِ، وناقة غَبوطٌ: لا يعرفُ طِرقُها حتى تُغْبَطَ أي تجس باليدِ، والغِبْطةُ: حسنُ الحال، ويقال: رجلٌ مَغْبوطٌ ومُغْتَبِطٌ. العين: للفراهيدي، ٣٨٨/٤.

(٢)) الإسلام والغرب: للبوطي، ص ٤٤-٤٥.

الذهبية هذه، وراحوا يعلقونها كثمرة غضة[١] يانعة على شجرة الصحوة الإسلامية. غير أن الآفات التي كانت تحدق بها، كانت أسرع إليها من تلك الأماني المعلقة عليها) [٢].

ولمواجهة تلك الوقائع التاريخية، وهذا التخلف، والضعف، والإحباط لدى الدول الإسلامية، فقد برزت أمام روّاد النهضة والإصلاح أسئلة تبلّورت حولها عملية الإصلاح واتجاهاته، وهي: كيف نستطيع مواجهة واقع التأخّر والانحطاط؟، كيف نواجه الآخر (الغرب)، وأفكاره التي جاء بها؟، وكيف نحقّق التقدم والتطور؟ كيف للمسلمين أن يصبحوا جزءاً من العالم الحديث، دون أن يتخلَّوا عن دينهم وهويتهم الحضارية[٣].

وبما أنَّ الإسلام يمتلك موروثاً دينياً كبيراً وغنياً من الإصلاح والتجديد الإسلاميين، وسبق أن برز خلال عهود الضعف التي لحقت بالعالم الإسلامي عبر عصوره المختلفة، فقد تصدّى عدد من دعاة الإصلاح لهذا الواقع، وعلى امتداد العالم الإسلامي، فحاولوا التعبير عن رغبتهم في إصلاح وتجديد الفكر الإسلامي، وذلك ليتمكنوا من مواجهة الأخطار والوقوف بوجه التحديات الخارجية والداخلية التي تهدد العالم الإسلامي فمن هؤلاء: رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده' وآخرون، وقد أيقن هؤلاء المصلحون أنّ أيّة نهضة حقيقية للدّين لن تتمَّ إلّا بتجريد الفكر الإسلامي من الخرافات والتشويهات التي علقت به، فضلاً عن محاربة الاستعمار الأجنبي، والعمل على تحرير

---

(١)) الغَضُّ والغَضِيضُ: وهو الشيء الطري، والْمَرْأَة غَضَاضَة وغضوضة رق جلدهَا وَظهر دَمهَا والنبات وَغَيره صَار طريا ناضرا، ويقال: ورجلٌ غضيضٌ، أَي؛ ذَليلٌ بَيِّنُ الغَضَاضَةِ. تهذيب اللغة: ابو منصور الهروي، ٨/ ٧-٨.

(٢)) الإسلام والغرب: للبوطي، ص ٤٤.

(٣)) ينظر: نهضوية الأمير شكيب أرسلان: صالح زهر الدين، ص١٧٠، والفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني، ص ١٢١.

العالم الإسلامي من سيطرته، والإفادة من العلم والتقنية الحديثة في الإصلاح، مع رفض محاكاة الغرب، فكان هذا هو الهدف الرئيس الذي سعى المصلحون الإسلاميون إلى تحقيقه، وقدموا خلاصة جهدهم الفكري للوصول إليه.

واخيراً فبعد هذا العرض لموقف الغرب من الإسلام والمسلمين، وابتداء من ظهور الصحوة الإسلامية إلى يومنا هذا، لا بد لنا أن نتساءل: يا ترى ما هو مصير الإسلام والمسلمين بناء على ذلك؟ يقول الشيخ رحمه الله: (بعيداً عن سلطان التشاؤم واليأس، وبعيداً أيضاً عن الاستسلام لمشاعر الاستبشار والتفاؤل، وهو عندما ننظر إلى الإسلام بحد ذاته، وبقطع النظر إلى حال المسلمين وأخطائهم، فإن بوسعنا أن نقول: إن الإسلام سيكون له دور الريادة في قيادة العالم الجديد، وذلك لأنَّ المناخ العام في المجتمع الغربي قد تهيأ لفهم الإسلام وقبوله كما لم يتهيأ لذلك في أي عهد من قبل، وإن الإنسان الغربي لم يعد يجد في نفسه شيئاً من الثقة التي كان يشعر بها تجاه الحضارة الغربية؛ فضلاً على اعتزازه السابق بها، فالمجتمع الغربي لا يزال متجهاً إلى مزيد من التفكك، والأسرة ماضية إلى الاضمحلال[1]، حيث غدت في كثير من المناطق وهماً لا يجسده إلا هيكل دار قائمة)[2].

المطلب الثالث: أبرز رواد الإصلاح الاسلامي الحديث.

كان العراق يحمل مشاعل الثقافة والأدب والعلم إلى أن اجتاحه الغزو المغولي في منتصف القرن السابع الهجري، فعندئذٍ نهضت مصر بما كان ينهض به العراق، وقامت

---

(١) الاضمحلال: هو التبديل، واضمحلّ الشيءُ، إذا ذهب، وقيل: اضمحلَّ السحابُ، إذا انقشع. العين: للفراهيدي، أبواب الرباعي- الحاء والضاد، ٣٢٩/٣، ومعجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، كتاب الضاد، ٣/ ٤٠٢.

(٢)) الإسلام والغرب: للبوطي، ص ٥٤-٥٥.

القاهرة بما قامت به بغداد، وما هي إلا أعوام قصيرة حتى شرع العراق بنشر العلوم والمعارف باللغة العربية بعد أن ظلت الفارسية وبعدها التركية لغة التعليم بتلك البلاد ، وبفضل هذه الفتوة رجعت السيادة للغة العرب في بلادٍ كان لها في خدمة هذه اللغة تاريخ مجيد، ويضاف إلى هذا حرص العراق على الاتصال بجميع الدول العربية، أو الأمة العربية، واذلك الاتصال ألوان مختلفة فهو يتابع جميع الحركات السياسية في البلاد العربية، أو يتابع ما يجد فيها من تطور في الآداب والفنون ويسرُه أن يقال: أن له فاعلية في إحياء التمدن العربي الحديث، وخلاصة القول: إن بداية النهضة الأدبية في العراق تؤرخ بجعل اللغة العربية لغة التدريس في عهد الاستقلال(١).

وبعد هذا أيقظ الاحتلال الغربي بعض المفكرين المسلمين، ووجههم لأن يكونوا دعاة ضد سلطته في أية بقعة من بقاع العالم الإسلامي، ودعتهم دعوتهم لأن يعمدوا إلى الإسلام كوسيلة أولى في إيقاظ الشعوب الإسلامية ضد هذه السلطة الدخيلة، والتي تصحبها روح الانتقام من المسلمين، منذ أن انتصروا على الصليبيين في القرن الثالث عشر، وتحث هذه الشعوب على العمل على تطهير البلاد الإسلامية منها، ودعاهم اعتمادهم على الإسلام إلى أن يغيروا في صورة عرضهم إياه، إذ ظهر في العصر الحديث حركات إصلاحية دينية تُحاول في حقيقتها رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك لإعادة الثقة في نفوس المسلمين، ثم السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها حياة المسلمين إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره؛ عندما يصبح في غده، إذ اتجه الفكر الإسلامي المقاوم للاستعمار الغربي في رقعة الشرق إلى شعبتين: الأولى:

---

(١)) ينظر: ملامح المجتمع العراقي: زكي مبارك، ن: مطبعة أمين عبد الرحمن– القاهرة، لعام١٩٤٢م، ص ٢٢– ٣٠.

اتجهت إلى التعبئة الروحية والإصلاح، وذلك عن طريق عرض الإسلام عرضا واضحا، والعمل على جعله أساسا في التربية الوطنية، فكانت دعوتهم تهدف إلى أن يكشفوا عن الإسلام بأنه مصدر قوة، والمسلمون إذا عاشوا به عاشوا أقوياء، وإذا عاشوا من أجل هدف ما، عاشوا من أجل الإسلام وحده، وأما الثانية: اتجهت إلى تعبئة الحماس القومي في الجيل الناشئ، وذلك عن طريق: الصحافة، والاجتماعات العامة، فكان لهذه الحركات رواداً قادوا عملية الإصلاح والنشاط الدعوي[1]، وكان من هؤلاء الرواد، بوصفهم أكثر تأثيراً في فكر الحركات الإسلامية المعاصرة: جمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، وبديع الزمان النورسي، وعلي باشا مبارك، وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم.

المطلب الرابع: أبرز رواد الإصلاح في العراق.

إن الله سبحانه وتعالى شرف هذه الأمة بشريعة خالدة ومنهج قويم جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قام بواجب التبليغ خير قيام وتبعه من بعده صحابته الكرام، ومن بعدهم التابعين وتابع التابعين، وهكذا تستمر قائمة العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين الذين قاموا بواجب الدعوة وتفقيه الامة وتعاليمها، وقد انبرى دعاة مخلصون، وقادة مربون في عصرنا الحاضر، وفي بلدنا الحبيب العراق، ومن هؤلاء الداعية (الشيخ عبد الكريم زيدان رحمه الله)، فكان إمام في الدعوة إلى الله تعالى وفقيهاً من فقهاء الأمة، فقد أفنى عمره في سبيل الدعوة الإسلامية وخدمتها، وإن الاهتمام بمثل هؤلاء الرجال؛

(١)) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالعالم الغربي: محمد البهي، ص ٣٢٩-٣٣١، وجهة العالم الإسلامي: مالك بن نبي، ص ٤٧-٦٠.

دليل على أن الأمة الإسلامية قادرة على العطاء في مختلف العصور والدهور، ومهما كانت الظروف والتحديات والأزمات والعقبات التي تواجهُ هذه الأمة[١].

فإن تاريخ الأمة لا يخلو من بزوغ أنوار علماء أجلّاء يُجدِّدون أمر الدين؛ يُنافِحون عنه ويدعون إليه، يَشرحون ما استشكل من مغالقه، ويفتحون أبواب التغيير في الفكر والأخلاق، يُنيرون القلوب ويُزيلون ما ران على الأنفُسِ والأرواح مِن أدران المادة، وها نحن نقف اليوم على ساحل عالم جليل مُجاهِد مُجتهِد، نذر نفسه للعلم متَّخذًا إياه دورًا يَهدي به الأجيال إلى طريق الحق والعزة والانعِتاق، مُتمِّمًا رسالة الأنبياء في التبليغ، وإجلاء الحقائق وخدمتِها، مؤديًا بذلك الأمانة الملقاة على عاتقه بكل صدق وصبر، لم يُثِرْه قول حاسد ولا افتراء مُفتر، وها هو ينتقل باحثًا عن مواطن الرباط ليشدَّ إليها رحاله مُترفِّعًا عن مكاسب الدنيا الفانية ومتاعها الزائل[٢].

فكان الشيخ رحمه الله من أعلام الأمة الإسلامية، ومِن بقية جيل من الرواد الكبار؛ حيث قضى عمره في العمل الإسلامي والدعوة إلى الله، في التدريس والتأليف والتربية، وعُرف بجهوده الفقهية وإسهاماته العِلميَّة الكبيرة، وردِّه على أعداء الإسلام[٣].

ولقد امتاز الشيخ عبد الكريم زيدان بصفات وخصائص عديدة وهبها الله تعالى له، والذي أفنى حياته في الدعوة إلى الله، فقد جند جميع اوقاته وكرسها في خدمة شريعة الإسلام، وهذه الخصائص يمكن أن نذكر بعض منها: اولاً: الدقة والتحري في النقل،

---

(١)) ينظر: فقيه الدعاة عبدالكريم زيدان: د. حسين عبد الدليمي، ن: مؤسسة الرسالة– دمشق، ط–١– لعام ٢٠١٦م، ص ٩–١٠.

(٢)) ينظر: علامة العراق (د. عبدالكريم زيدان) حياته وآثاره: د. حذيفة عبود السامرائي، بتاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١٤م، نقلاً عن موقع: https://www.alukah.net/culture ٣.

(٣)) المصدر نفسه .

الحيادية والصدق، الوسطية والاعتدال، احترام العلماء والثناء عليهم، سعة المعرفة والاطلاع، الذكاء وايصال الفكرة وغيرها من الصفات الأخرى، وقد تميَّزت مؤلفاته بالعُمق العِلمي، والتأصيل الشرعي، والمنهجية الراسخة، والتناول العميق، والوعي بالواقع، والملاءمة بينه وبين الشرع بما لا يُخالف الأصول والكليات، فجاءت اجتهاداته مُتناسِبة مع الواقع، متميِّزة، نافعة، مفيدة [1].

وقد رفد المكتبة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفات؛ منها: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، والكفالة والحوالة في الفقه المقارن، وأصول الدعوة، والوجيز في أصول الفقه، وغيرها من الكتب والمؤلفات.

وعلى هذا فلابد من التعريف بمثل هكذا علماء من أجل أن نقوم على تنشئة جيل من العلماء الواعين بالشرع والمتَّصلين بالعصر، الذين يجمعون بين فقه النص وفقه الواقع وفقه تنزيل النص على الواقع، حتى يُبلِّغوا الرسالة ويؤدوا الأمانة، ويقوموا بواجبهم نحو ميراث النبي صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في هذه الأطروحة، عسى أني قد وفقت فيها، ولكن لا بد أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الأطروحة مع بعض التوصيات، فقد أوجزتها في النقاط الآتية:

١- إن مهمة الفكر الإسلامي تبرز في شرح النّصوص القرآنية التي تمتاز بالإجمالية والتعميم، وهو يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ليؤكّد مرونة الفكر الإسلامي وقابليته الدائمة للتطور والتجديد.

---

(١)) ينظر: فقيه الدعاة عبدالكريم زيدان: د. حسين الدليمي، ص ٩٥-١٠٥.

٢- إن من خصائص الفكر الإسلامي كونه يخضع بين فترة وأخرى لعمليات إصلاح وتجديد، وذلك لتصفية وإزالة ما علق به من شوائب وبدع وانحرافات خطيرة.

٣- ثم إنَّ التجديد والإصلاح ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر وحديث، فهذا ليس من التجديد في شيء، وإنما هو الإضافة المتميزة التي تُطبع الفكر بطابع عصره.

٤- إنَّنا نجد بأن الإسلام يمتلك موروثاً دينياً كبيراً وغنياً من الإصلاح والتجديد الإسلاميين، وقد سبق أن برز خلال عهود الضعف التي لحقت بالعالم الإسلامي عبر عصوره المختلفة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١- الإسلام والعصر تحديات وآفاق: د. محمد سعيد رمضان البوطي- د. طيب تيزيني، تحرير: عبد الواحد علواني، ن: دار الفكر- والمطبعة العلمية- دمشق، ط -٢- لعام ١٤٢٠هـ.

٢- الإسلام والغرب: د. محمد سعيد رمضان البوطي، ن: دار الفكر- دمشق، ط- ١- لعام ٢٠٠٧م.

٣- الإسلام وحقائق الأصولية: حميد السعدون، ن: مجلة الإسلام والديمقراطية – لندن، العدد (٩) لسنة (٢) كانون الثاني، لعام ٢٠٠٥م.

٤- الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير: حسين سعد، ن: مركز دراسات العربية- بيروت، د. ط، لعام ٢٠٠٥م .

٥- أوربا من التقنية إلى الروحانية: د. محمد سعيد رمضان البوطي، ن: دار الفكر- دمشق، ط- - لعام ١٩٩٩م.

٦- تجديد الفكر الاسلامي: د. محسن عبد الحميد؛، ن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا د. ط، لعام ١٩٩٦م.

٧- تجديد الفكر الإسلامي: مجموعة مؤلفين، ن: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود- المركز الثقافي، ط - ١- لعام ١٩٨٩م.

٨- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط-١- لعام ٢٠٠١م.

٩- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان: د. يوسف القرضاوي. ن: دار الصحوة للنشر والتوزيع- القارة، ط - ٢- لعام ١٩٩٣م.

١٠- شريعة الله لا شريعة البشر: شحاته محمد صقر، ن: دار الخلفاء الراشدين- ودار الفتح الإسلامي- الإسكندرية، د. ط ، د. س.

١١- الصحوة الإسلامية ومشاريع الهيمنة الأجنبية: أحمد صدقي ألد جاني؛ في: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، أعمال الندوة التي عقدها منتدى الفكر العربي- بالتعاون مع مؤسسة آل البيت لبحوث الحضارة الإسلامية، في ١٤- ١٦/ ٦/ ١٩٨٧م، ن: منتدى الفكر العربي، لعام ١٩٨٨م .

١٢- علامة العراق (د. عبدالكريم زيدان) حياته وآثاره: د. حذيفة عبود السامرائي، نقلاً عن موقع: ٣ https://www.alukah.net/culture.

١٣- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ن: دار ومكتبة الهلال.

١٤- فقيه الدعاة عبدالكريم زيدان: د. حسين عبد الدليمي، ن: مؤسسة الرسالة- دمشق، ط-١- لعام ٢٠١٦م.

١٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، ن: دار الفكر- القاهرة، د. ط، لعام ١٩٧١م.

١٦- الفكر الإسلامي تقويمه، وتجديده: محسن عبد الحميد، ن: مطبعة الخلود- الأنبار- العراق، ط-١-١٩٩٨م.

١٧- الفكر الإسلامي في تطوره: محمد البهي، ن: مكتبة وهبة- دار التضامن- القاهرة، ط -٢- لعام ١٩٨٧م.

١٨- الفكر الإسلامي: د. محمد الصادق عفيفي، ن: مكتبة الخانجي- القاهرة، د. ط.
١٩- الفكر العربي في عصر النهضة: ألبرت حوراني (١٧٩٨م-١٩٣٩م)؛ ترجمة: كريم عزقول، ن: دار النهار للنشر- بيروت، د. ط، لعام ١٩٧٧م.
٢٠- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ن: دار صادر - بيروت، ط-٣- لعام ١٤١٤ هـ.
٢١- ليس من الإسلام: محمد الغزالي، ن: مكتبة وهبة- القاهرة، ط -٦- لعام ١٩٩٧م، ص ١٣٦.
٢٢- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، د. ط، لعام ١٩٧٩م.
٢٣- ملامح المجتمع العراقي: زكي مبارك، ن: مطبعة أمين عبد الرحمن- القاهرة، لعام١٩٤٢م.
٢٤- من أجل صحوة راشدة وتجدد الدين وتنهض الدنيا: د. يوسف القرضاوي، ن: المكتب الإسلامي- بيروت، ط -١- لعام ١٩٩٨م.
٢٥- موجز تاريخ تجديد الدين: أبو الأعلى المودودي، ن: دار الفكر- بيروت، ط -٣- لعام ١٩٦٨م.
٢٦- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ألجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ن: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط -١- لعام ١٤٠٤هـ .
٢٧- نهضوية الأمير شكيب أرسلان: صالح زهر الدين، العدد (٣٩-٤٠)، لسنة (٦)، ن: مجلة الفكر العربي، د. ط، لعام ١٩٨٥م.

٢٨- وجهة العالم الإسلامي: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت: ١٣٩٣هـ)، ن: دار الفكر- دمشق، ط- ١- لعام ١٩٨٦م .

٢٩- وجهة نظر حول إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر: د. محمد عابد الجابري، ن: مركز الوحدة العربية- بيروت، ط -٢- لعام ١٩٩٤م .